شرح

كشف الشبهات

للعلامة

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي

(المتوفى: ١٢٠٦هـ)

(المجلس السّابع عشر)

لِمعَالِي الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ

سليمان الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

السلام عليكم وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمانِ الأكملانِ علىٰ المبعوثِ رحمةً للعالمين، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

فمعاشر الفضلاء؛ قد علمنا بالأدلة الشرعية القطعية أنّ دِيْن الْأَنْبِيَاء عليهم السلام واحد، فقد بعث الله الأنبياء عليهم السلام جميعًا بالأمر بعبادته وتوحيده، والنهي عن الشرك به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فما من نبي بعث إلا وقد أمر قومه بعبادة الله عَزَّ وَجَلَّ واجتناب الطاغوت، وأمرهم بشهادة أن لا إله إلا الله، وختم الله عز وجل الأنبياء والرسل عليهم السلام بأشرفهم محمد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بعثه بدين الأنبياء عليهم السلام، بتوحيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فأمر النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قومه بأن يقولون: لا إله إلا الله، ففهموا معناها، وأدركوا مغزاها، فقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: ٥]، مع أنهم يقرّون بأنه لا يخالق إلا الله، ولا رازق إلا الله، ولا مدبر إلا الله، لكنهم فهموا وأدركوا أن معنى: لا إله إلا الله، أنه لا معبود بحق إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالمعبود واحد والعبادة كلها صغيرها وجليلها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فأبى صناديد قومه هذا، وسبوه، وأرادوا قتله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وظلّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعوهم إلى هذا التوحيد الْعَظِيم، ويعلّمهم دين الله عَزَّ وَجَلَّ حتى هاجر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى هذه المدينة، فاستمر يدعو الناس إلى التوحيد، وقاتل المشركين على شركهم، وكفرهم بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وظل على ذلك حتى دخل الناس في دين الله أفواجًا، ومات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقام الصحابة رضوان الله عليهم بالدعوة إلى دين الله عَزَّ وَجَلَّ يعلمون الناس دين الله وشريعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فانتشر الإسلام، وعرف التوحيد بحمد الله عَزَّ وَجَلَّ، وظل المسلمون على هذا التوحيد، لا يعكره شيء ثلاثة قرون.

ثم بعد ذلك ظلّ أقوام ممن ينتسبون إلى الإسلام في باب التوحيد، فظهرت المشاهد والقبور والقباب على القبور على يدي العبيدين الفاطميين، الذين يظهرون الرفض وباطنه النفاق والزندقة، ظلمات بعضها فوق بعض.

واغتر بعض من ينتسبون إلى الإسلام بهذا الأمر، فصاروا يعبدون القبور ويعقدون لأصحاب القبور النذور ويصرفون أنواعًا من العبادة لأصحاب القبور كدعائهم والاستغاثة بهم ونحو ذلك، فأنكر علماء الأمة ذلك، وألف بعضهم في ذلك كتب فقرأ بعض المغرورين هذه الكتب فاستنارت بصائرهم، وعادوا إلى توحيد ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إلا أن أقوامًا من أولئك المنحرفين عن التوحيد قد عميت بصائرهم وظلوا على هذا الشرك، وصاروا يزينون الشرك لعامة الناس، وكان عامة هؤلاء الرؤوس ممن ينتفعون ببقاء عامة الناس على هذا الشرك، فإنهم بهذا يقدسون تقديسًا عظيمًا، ويعاملون بالتقديس والرفع فيعيشون على أكتاف العامة أعلى من الملوك، تقبل أيديهم ورؤوسهم، وأرجلهم، يسجدوا لهم من يسجد، ويركع لهم من يركع، ويعطيهم العامة المساكين قوت أولادهم وأهليهم.

فقام أولئك بوضع شبهات تصد الناس عن ترك هذا الشرك، والعودة إلىٰ التوحيد، فألف العلماء الناصحون كتبًا في كسر هذه الشبهات وردّ هذه الشُّبُهَاتِ.

☚ **ومن أولئك العلماء: الإمام المجدد طبيب التوحيد الماهر الحاذق الناصح لأمة محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المجاهد في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ**، ومن يقرأ سيرة هذا العالم بإنصاف علم قدر هذا العالم، وعلم نصح هذا العالم، وينبغي على الأمة أن لا تغتر بكتابات المخالفين للتوحيد، فإنهم ظلمة، كذبة، أهل بهتان، ألصقوا بالشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ما لا يعتقده ولا يقول به رَحِمَهُ اللَّهُ رحمة واسعة، هذا الإمام الناصح ألف كتابًا صغير الحجم عظيم النفع، أسماه كشف الشبهات، رد به شبهات أولئك المضللين تثبيتًا لأهل التوحيد، وبيانًا للمغرورين من عامة الأمة بتلك الأعمال الشركية وإقامة للحجة على المعاندين الذين لا يريدون السير على طريق نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصحابته رضوان الله عليهم.

ولما كان الأمر يقوم على بيان أن فعل هؤلاء الذين ينتسبون إلى الإسلام ويصرفون العبادة لغير الله عَزَّ وَجَلَّ كفعل أولئك المشركين الذين بعث فيهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودعاهم إلى التوحيد وقاتلهم على ذلك، وأن الذين يفعلون هذا وهم ينتسبون إلى الإسلام حكمهم كحكم أولئك الذين كانوا يشركون بالله في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن الآيات والأحاديث الواردة في التحذير من الشرك تنطبق على شرك هذا الزمان كما تنطبق على شرك ذاك الْزَّمَانِ.

فإن أهل الشبهات حرصوا على أمرين:

الأمر الأول: الزعم أن فعل هؤلاء الذين ينتسبون إلى الإسلام ويعبدون غير الله عز وكل يخالفوا فعل أولئك المشركين الذين بعث فيهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والأمر الثاني الذي يقوم عليه أو تقوم عليه شبهات القوم: الزعم أن هؤلاء الذين ينتسبون إلى الإسلام يختلفون عن أولئك الذين بعث فيهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقاتلهم على شركهم من جهة أن هؤلاء مسلمون وأوليك مشركون، كان كشف هذه الشبهات يعتمد على هذين الأمرين، فكان صدر الكتاب في رد الشبهات التي تتعلق بأن فعل هؤلاء الذين ينتسبون إلى الإسلام ويذبحون لأصحاب القبور وينذرون لأصحاب القبور ويدعون خلقًا من دون الله عَزَّ وَجَلَّ ويستغيثون بخلق من دون الله عَزَّ وَجَلَّ أن فعل هؤلاء هو فعل أولئك الأولين.

فكان رد كشف الشبهات في إثبات هذا الأمر، وكان آخر الكتاب في كشف الشبهات التي تقول: إن هؤلاء الذين ينتسبون إلى الإسلام مع فعلهم هذه الشركيات يختلف حالهم عن أولئك المشركين، لأن هؤلاء مسلمين والشيخ رد هذه الشبهات وكشفها، وبين أن الفعل هو الفعل، بل إن فعل المتأخرين أقبح بالأدلة البينة الظاهرة وبين أن الفاعل هو الفاعل، ورد هذه الشبهات، وكنا في آخر مجلس نناقش الشبهة التي تقول: إن هؤلاء الذين ينتسبون إلى الإسلام ويصرفون أنواعًا من العبادات لغير الله سبحانه وتعالى لا ينطبق عليهم التكفير، لأنهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فهذا مانع من تكفيرهم مهما قالوا ومهما فعلوا.

وقد ردّ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الشبهة وفضح أهلها، وبينا شيئًا من الرد على هذه الشبهة، وفي هذا المجلس نواصل الكلام عن كسر هذه الشبهة وردها.

قال الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في رسالته كشف الشبهات:

وَيُقَالُ أَيْضًا: هَؤُلَاءِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ، وَقَدْ أَسْلَمُوا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُصَلُّونَ وَيُؤَذِّنُونَ ويصومون.

الشَّرح:

من هنا بدأ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بذكر إجماع الصحابة رضوان الله عليهم على أن من أتى بالشهادتين يكفر إن تلبس بمكفر، ولا يمنع تكفيره نطقه بالشهادتين، ولا يسوغ ولا يجوز أن يقال لمن كفره: إنه يكفر المسلمين، فمن نطق بالشهادتين ثم أتى بمكفر ولو اوحد فإن الصحابة رضوان الله عليهم مجمعون على أنه يرتد عن دينه، ويكون كافرًا خارجًا عن ملة الإِسْلَامِ؛ فالصحابة رضوان الله عليهم أجمعوا على كفر المرتدين من بني حنيفة، وقاتلوهم، مع كونهم أتوا بالشهادتين وكانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأسلموا مع خير من يسلم معه أسلموا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانوا يصلون ويؤذنون ويعبدون الله عَزَّ وَجَلَّ، لكنهم اعتقدوا أن مسيلمة نبي.

كما نقل ذلك عنهم ابن جرير وغيره من علماء السير، وقد جاء في بعض الروايات أن جماعة من بني حنيفة تابوا من هذه الردة، واستقبحوا فعلهم، ورأوا أنه لا يكافؤوا فعلهم إلا أن يجاهدوا في سبيل الله، فخرجوا بنسائهم وذراريهم إلى الثغور، وبنوا مساجد يصلون فيها، إلا أن رجلًا مر بهم في مساجدهم فوجدهم يذكرون أن مسيلمة نبي، أو كانوا يقرؤون في مساجدهم ببعض خزعبلات مسيلمة، فأخبر بان مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ حيث كان على الكوفة، فتوثق من ذلك وعلم ذلك فأجمع الصحابة الذين كانوا مع ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على كفرهم بهذا، لكنهم اختلفوا هل يقتلون مباشرة أو يستتابون؟

ثم استقر الأمر على استتابتهم، فاستتيبوا فتابوا، فأطلق سراحهم، فالصحابة أجمعوا على تكفير بني حنيفة عند ارتدادهم الأول، وقاتلوهم قتال المشركين، مع كونهم قد شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ثم لما تاب من تاب منهم لكنهم ظلوا في أنفسهم على مكفر، وهو الاعتقاد أن مسيلمة نبي، وإن كان لا يعلنون ذلك ولا يشهرونه أو قراءة ما وضعه مسيلمة في صلاتهم.

أيضًا أجمع الصحابة على كفرهم مع كونهم يصلون في المساجد، ويشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فبان بهذا بطلان الزعم أن من أتى بالشهادتين لا يكفر مهما قال ومهما فعل بإجماع صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على تكفير من أتى بالشهادتين ثم تلبس بمكفر، فبان بطلان هذا الزعم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مُسَيْلِمَةَ نَبِيٌّ.

الشَّرح:

هذا اعتراض من أصحاب الشبهة، وهو أن الصحابة رضوان الله عليهم إنما كفروا بني حنيفة لقولهم: (إِنَّ مُسَيْلِمَةَ نَبِيٌّ)، أي أنهم يقولون: ونحن نقول: لا نبي بعد محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأمرهم يختلف عن أمرنا، ويُجاب عن هذا الاعتراض بأوجه:

الوجه الأول: أن يقال لهم: إن هذا لا ينفعكم شيئًا، لأن المقصود إبطال زعمكم أن من أتى بالشهادتين لا يكفر بعد ذلك مهما قال أو فعل، وهذا يحصل مع قولكم هذا، نعم هم كفرهم إنما كان بقولهم: (إِنَّ مُسَيْلِمَةَ نَبِيٌّ)، ما أتوا بشيء من المكفرات إلا بهذا، وهم كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ومع ذلك كفرهم الصحابة، ومقصودنا أن نثبت هذا، أن من أتى بالشهادتين لا يمنع ذلك من تكفيره إن جاء بمكفر، واجتمعت الشروط وانتفت الموانع.

الوجه الثاني: أن يقال لهم: إن الذي أنتم فيه أقبح مما كان عليه بنو حنيفة، لأنهم رفعوا رجلًا إلى مرتبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكفروا بذلك بإجماع الصحابة، أما أنتم وأمثالكم فرفعتم رجالًا إلى مرتبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وصرفتم لهم حق الله، وصرفتم لهم أنواعًا من العبادة التي هي الحق المحض لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والوجه الثالث: أن القدح في إحدى الشهادتين كالقدح في الأخرى، فأولئك قدحوا في شهادة أن محمدًا رسول الله، وأنتم قدحتم في شهادة أن لا إله إلا الله، نعم أولئك القوم الذين كفرهم صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقاتلوهم قدحوا في شهادة أن محمدًا رسول الله، فزعموا أن مسيلمة نبي، لكننا نقول لكم: إن الشهادتين متلازمتان، وإن القدح في إحداهما كالقدح في الأخرى، فلما نظرنا في حالكم ورأينا أنكم تقدحون في شهادة أن لا إله إلا الله علمنا أنكم كالذين قدحوا في شهادة أن محمدًا رسول الله، فالحكم سواء.

الوجه الرابع: أن نقول لهؤلاء: إنكم اعتقدتم في رجال ما لم يعتقده بنو حنيفة في مسيلمة الكذاب، فاعتقدتم مثلًا أن الأقطاب الأربعة أو السبعة يتصرفون في الكون، فما من حركة في الكون ولا سكون في الكون إلا بأمر هؤلاء الأقطاب الأربعة، أو الأقطاب السبعة، وزعمتم أن لهم رجلًا

أعلى منهم، يقال له: قطب الأقطاب، أو الغوث الأوحد، وأن هؤلاء في كل يوم يجتمعون في غراء حراء يقدرون الأمور ويتصرفون في الكون، بل زعمتم أن هؤلاء الأقطاب لا يدخل أحد الجنة إلا بإذنهم، نعوذ بالله من هذا الغلو، وهذا الأمر ما قاله كاف رمن صناديد الكفار في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا قاله أحد من بني حنيفة الذين زعموا أن مسيلمة نبي.

فأنت جئتم بأقبح مما جاء به بنو حنيفة الذين قاتلهم الصحابة رضوان الله عليهم وكفروهم، وأجمعوا على ردتهم.

والوجه الخامس: أن نقول لهؤلاء: إنكم نع قدحكم في شهادة أن لا إله إلا الله قد قدحتم في شهادة أن محمدًا رسول الله، حيث زعمتم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتم أمرًا من أعظم أمور الدين، لأن هذا الذي أنتم عليه وتزعمون أنه من أعظم الدين ما بينه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتزعمون أنه من الدين، إذًا أنتم تقدحون في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتزعمون أنه لم يُبيّن الدين كله، أو أنه لم يُبين كل الدين في حياته، وأبقى الصحابة على جهل ببعض الدين، وبينه بعد مماته بزعمكم وخرافاتكم من أنه ظهر لبعض شيوخكم أو مد يده إلى بعض شيوخكم فأعطاه صلاة كذا وأعطاه ذكر كَذَا.

وحتى بعض المعاصرين اليوم يقول: جاءني النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فخصني بهذا الذكر، خصني بهذا الذكر، فأمره بذكر يعبد الله به، ويأمر الناس به، ما علمه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للصحابة، فأنتم تقدحون في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل وتتهمونه بأنه خان الأمانة حاشاه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث لم يُبيّن للناس دينهم الذي كمل في حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فإذا علمنا هذه الأوجه عرفنا رد هذا الاعتراض وأن هذا الاعتراض لا ينقض ما أبرمناه من الرد على هذه الشبهة الباطلة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

قُلْنَا: هَذَا هُوَ المَطْلُوبُ.

الشَّرح:

(قُلْنَا: هَذَا هُوَ المَطْلُوبُ)، هذا المطلوب أن نثبته، وهو زعمكم أنهم إنما كفروا بقولهم: إن مسيلمة نبي.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

إِذَا كَانَ مَنْ رَفَعَ رَجُلاً فِي مَرْتَبَةِ النَّبِيِّ صلىٰ الله عليه وسلم: كَفَرَ.

الشَّرح:

وقد أجمع العلماء على أن من رفع رجلًا إلى مرتبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو جعل رجلًا أشرف وأكمل وأتقى من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يكفر بذلك، وهذا الذي وقع من الصحابة رضوان الله عليهم، فلما رفع بنو حنيفة مسيلمة إلى مرتبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النبوة أجمع الصحابة على ردتهم، وعلى قتالهم ردة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَحَلَّ دَمُهُ وَمَالُهُ.

الشَّرح:

أي: أنّ الصحابة قاتلوهم قتال الكفار الذي يحل معه الدم والمال.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَمْ تَنْفَعْهُ الشَّهَادَتَانِ، وَلَا الصَّلَاةُ.

الشَّرح:

أي: لم تمنع الشهادتان كفره، ولم تمنع صلاته كفره، وهذا المطلوب أن من أتى بمكفر ولو كان ينطق بالشهادتين فإنه يكفر، يكفر من جهة فعله، ويكفر من جهة ذاته إذا اجتمعت الشروط وانتفت الموانع.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَكَيْفَ بِمَنْ رَفَعَ شَمْسَانَ، أَوْ يُوسُفَ، أَوْ صَحَابِيًّا، أَوْ نَبِيًّا؛ فِي مَرْتَبَةِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ؟!

الشَّرح:

كيف بمن رفع شمسان، وشمسان رجل في جهة الرياض في زمن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب أو قبله، كان يدعو الناس إلى تعظيمه، ويأخذ منهم الأموال، وكان أولاده نوابًا له يدعون الناس إلى ذلك، ولذلك حكم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ بكفره، ولا شك في كفره، مع أنه أيضًا تذكر في سيرته أنه كان رجلًا خبيًا منحلًا من الدين، وأما يوسف فيوسف رجل كان يعظم في شرق الجزيرة العربية، إما في الأحساء وإما في الكويت، وعلى قبره قبة، وكان قبره وثنًا يعبد من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فالمقصود فكيف بمن رفع شخصًا ولو كان تقيًا، فكيف إذا كان من شرار الخلق إلى مرتبة الله عَزَّ وَجَلَّ، فصرف له شيئًا من العبادة فإنه أقبح وأكفر ممن رفع رجلًا إلى مرتبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

سُبْحَانَ اللهِ! مَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ! ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٥٩)﴾ [الروم: ٥٩].

وَيُقَالُ - أَيْضًا -: الَّذِينَ حَرَّقَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه بِالنَّارِ: كُلُّهُمْ يَدَّعُونَ الإِسْلَامَ، وَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ رضي الله عنه، وَتَعَلَّمُوا العِلْمَ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَلَكِنِ اعْتَقَدُوا فِي عَلِيٍّ مِثْلَ الِاعْتِقَادِ فِي يُوسُفَ وَشَمْسَانَ وَأَمْثَالِهِمَا.

فَكَيْفَ أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَىٰ قَتْلِهِمْ وَكُفْرِهِمْ؟!

أَتَظُنُّونَ أَنَّ الصَّحَابَةَ يُكَفِّرُونَ المُسْلِمِينَ؟!

أَمْ تَظُنُّونَ أَنَّ الِاعْتِقَادَ فِي تَاجٍ وَأَمْثَالِهِ لَا يَضُرُّ، وَالِاعْتِقَادَ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه يُكَفِّرُ؟!

الشَّرح:

هذا أيضًا من إجماع الصحابة الذي يبطل زعم أهل هذه الشبهة أن من أتى بالشهادتين يمتنع تكفيره مهما قال أو فعل، فإن الصحابة في زمن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أجمعوا على كفر غلاة الشيعة السبئية، الذين اعتقدوا في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الألوهية والربوبية، فأمهلهم عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثلاثة أيام للتوبة، فكان أحدهم يأتي إليه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويقول: أنت هو، أنت هو، أي أنت الله، نعوذ بالله من هذا الكفر، وكان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يزجرهم، ويعظهم، ويعلمهم أنه عبد، لا يملك لهم من دون الله شيئًا، فكانوا

يأتون أيضًا في اليوم الثاني فيقولن: أنت هو، ويفعل بهم كذلك، وفي اليوم الثالث كذلك، فلما رأى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الأمر منكر عظيم، وأنه يجب حسمه، وأن يكون في معاملة هؤلاء ما يزجر من يأتي من بعدهم، فعل أمرًا عظيمًا فخد أخاديد في الأرض، وأجج فيها نارًا، ودعا غلامة قنبر لرميهم في هذه النار، وقال بيته المشهور:

لَـمّـا رَأَيـتُ الأَمـرَ أَمـراً مُـنـكَـراً ... أَجَّـجـتُ نـاري وَدَعَـوتُ قَـنـبَـرا
ثُـمَّ اِحـتَـفَـرتُ حُـفَـراً وَحُـفَـراً ... وَقَـنـبَـرٌ يَـحـطِـمُ حَـطـمـاً مُـنـكَـراً

ووافقه صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على كفر هؤلاء، وعلى ردتهم، لكن خالفه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في طريقة قتلهم، فما كان يرى قتلهم بالنار، فلا يعذب بالنار إلا رب النار، وإنما يقتلون بالسيف، وهذا الذي عليه جمهور الفقهاء أن المرتد لا يحرق، وإنما يقتل بالسيف، لكن الشاهد: أن الصحابة رضوان الله عليهم الذين كانوا أحياء في زمن علي رضي الله عنه أجمعوا قاطبة على ردة هؤلاء، وعلى كفرهم مع كونهم كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويصلون مع الناس في المسجد، لكنهم لما أظهروا هذا الاعتقاد أجمع الصحابة على تكفيرهم، فبطل الزعم أن من أتى بالشهادتين يمتنع تكفيره مهما قال أو فعل.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَيُقَالُ - أَيْضًا -: الَّذِينَ حَرَّقَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه بِالنَّارِ: كُلُّهُمْ يَدَّعُونَ الإِسْلَامَ، وَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ رضي الله عنه، وَتَعَلَّمُوا العِلْمَ مِنَ الصَّحَابَةِ.

الشَّرح:

نعم أخذوا العلم من صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشاهدوا صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هم ليسوا من الصحابة يقينًا، لكنهم شاهدوا صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، منهم من أظهر الإسلام نفاقًا، فهو يبطن الكفر وأظهر الإسلام مخادعة ليصل إلى غرضه في المسلمين، ومنهم من يظهر أنه مسلم، لكنهم اعتقدوا هذا الاعتقاد بعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما قلنا: كانوا يقولون له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنت هو، أي أنت الله.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَكِنِ اعْتَقَدُوا فِي عَلِيٍّ مِثْلَ الِاعْتِقَادِ فِي يُوسُفَ وَشَمْسَانَ وَأَمْثَالِهِمَا.

الشَّرح:

المقصود أن الذين يعتقدون في أصحاب القبور هم يجعلونهم آلهة، وإن لم يسمونهم آلهة، لأن الذي تصرف له العبادة هو الإله، فهؤلاء القبوريون كأولئك السبئية الذين جعلوا عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلهًا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَكَيْفَ أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَىٰ قَتْلِهِمْ وَكُفْرِهِمْ؟!

الشَّرح:

أي: كيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم مع نطقهم بالشهادتين لو كان النطق بالشهادتين مانعًا من التكفير، كيف أجمع الصحابة على كفرهم وقتلهم؟! مع أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ولو ظاهرًا، لو كان ما تقولونه صحيحًا من أن النطق بالشهادتين مانع من التكفير، بمعنى أن نقول: إما أن الصحابة مخطئون، وإما أنكم في زعمكم مخطئون، ولا شك أن الصحابة غير مخطئين، ولا يمكن أن يجمع الصحابة على باطل، فتعين أنكم المخطئون، وأن زعمكم أن من أتى بالشهادتين لا يكفر مهما قال أو فعل باطل وخطأ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَتَظُنُّونَ أَنَّ الصَّحَابَةَ يُكَفِّرُونَ المُسْلِمِينَ؟!

الشَّرح:

أي هل تظنون أن الصحابة رضوان الله عليهم كفروا هؤلاء القوم وهم مسلمون؟! وهل يستسيغ مسلم أن يقول: إن الصحابة يكفرون المسلمين؟ الجواب يقينًا: لا، ولن يقول أحد يعرف دين الله إلا كلمة: لا، جوابًا عن هذا السؤال، فإن الصحابة رضوان الله عليهم ما كفروا قومًا مسلمين، وإنما كفروا من ارتد عن الإسلام، فصار حقيقًا بأن يكفر.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَمْ تَظُنُّونَ أَنَّ الِاعْتِقَادَ فِي تَاجٍ وَأَمْثَالِهِ لَا يَضُرُّ، وَالِاعْتِقَادَ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه يُكَفِّرُ؟!

الشَّرح:

أي هل تسلمون أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعوا على تكفير هؤلاء لغلوهم واعتقادهم في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟ فيقولون: نعم، الصحابة في زمن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كفروا هؤلاء لغلوهم في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واعتقادهم فيه، فيكون السؤال التالي: هل هذا خاص بعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أم يشمل كل من غلا في عبد واعتقد فيه أن له ما لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟ أو بعبارة أخرى: هل تظنون أن الصحابة رضوان الله عليهم كفروا من اعتقد هذا الاعتقاد في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولا يكفرون من اعتقد هذا الاعتقاد فيمن هو دون علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

لا يمكن أن يكون هذا، فإن من دون علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا الاعتقاد فيه أقبح وأعظم ظلمة، لا شك أن القوب إن هذا قاصر على الغلو في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دون من هو دونه لا يقبله عقل سليم ولا قياس صحيح، فتعين القول: إن الاعتقاد في مخلوق بأن يصرف له شيء مما لله عز وجل فر، يخرج من ملة الإسلام بإجماع صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهنا الشيخ أبطل شبهتهم وأبطل شيئًا يوصم به دعاة التوحيد، ويقال: إنكم تكفرون المسلمين، لم؟ لم قلتم: إنه مسلمون؟ قالوا: لأنهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويصلون، وربما كان في جبهة أحدهم زبيبة، وعلامة على كثرة الصلاة، يقول الشيخ: هل تقولون: إن الصحابة يكفرون المسلمين؟ هذا لا يمكن أن يقوله مسلم.

وقد وجدنا الصحابة رضوان الله عليهم يكفرون من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وصلى مع المسلمين لكنه أتى بمكفر، واستحق التكفير.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَيُقَالُ - أَيْضًا -: بَنُو عُبَيْدٍ القَدَّاحِ الَّذِينَ مَلَكُوا المَغْرِبَ وَمِصْرَ فِي زَمَنِ بَنِي العَبَّاسِ: كُلُّهُمْ يَشْهَدُونَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَيَدَّعُونَ الإِسْلَامَ، وَيُصَلُّونَ الجُمُعَةَ وَالجَمَاعَةَ.

فَلَمَّا أَظْهَرُوا مُخَالَفَةَ الشَّرِيعَةِ فِي أَشْيَاءَ - دُونَ مَا نَحْنُ فِيهِ -؛ أَجْمَعَ العُلَمَاءُ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَقِتَالِهِمْ، وَأَنَّ بِلَادَهُمْ بِلَادُ حَرْبٍ، وَغَزَاهُمُ المُسْلِمُونَ حَتَّىٰ اسْتَنْقَذُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنْ بُلْدَانِ المُسْلِمِينَ.

الشَّرح:

هنا يشرع الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ في بيان إجماع علماء المسلمين على أن من أتى بالشهادتين ثم تلبس بمكفر أنه يكفر، فمن الأوجه التي تدل على ذلك: أنّ بني عبيد القداح، عبيد القداح قيل هذا اسمه، وقيل لقبه، واسمه سعيد، كان يهوديًا في المغرب، تعرفون المغرب ليست دولة الآن، المغرب جهات أفريقيا كانوا في تونس، فزعم أنه من نسل فاطمة، وعامة المسلمين عامة علماء المسلمين يذكرون كذب هذا الرجل في نسابه إلى فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاها، وإنما هو يهودي أظهر الإسلام مكرًا وخداعًا، وهو مؤسس الدولة العبيدية الإسماعيلية، وقد ملكت المغرب ومصر والحجاز ثلاثة قرون تقريبًا، من بعد القرن الثالث، يعني من بداية القرن الرابع لمدة ثلاثة قرون تقريبًا.

وقد كانوا يدعون الإسلام ويشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيمون المساجد ويبنون المساجد ويصلون الجمعة والجماعة، لكنهم انكروا بعض الشرع، وأول ما عرف عنهم: أنهم كانوا يرون جواز الجمع بين الأختين في النكاح، وأحلوا بعض المحرمات، فكفرهم العلماء، واتفق العلماء على أنهم زنادقة كفار، لكن شرهم لم يقف عند هذا، بل زاد قبحهم وزاد شناعتهم زيادة عظيمة حتى بلغ الأمر أنهم شرعوا للناس أنه إذا ذكر اسم الحاكم يسجد الناس سواء كانوا في المسجد الحرام أو في المسجد أو في السوق، فإذا ذكر اسم الحاكم لا بد أن يسجد جميع من يسمع هذا الاسم، وعمموا سب الصحابة وتكفيرهم، وكان كل عالم يترضى عن الصحابة يقتل، وكل عالم يأبى أن يسب الصحابة يقتل، ثم زاد قبحهم حتى اعتقدوا الألوهية في حكامهم بل والربوبية في حكامهم.

فكان قبحهم قبحًا عظيمًا، وهم الذين أدخلوا في الأمة المشاهد على القبور، والقباب على القبور، هم الذين أحدثوا مشهد الحسين في مصر، وزعموا أن رأس الحسين دفن هناك، وهم أول من أقام الموالد في هذه الأمة، فهم أصحاب شناعات عظيمة، لكن الشيخ هنا يتكلم عن حالهم في أول أمرهم، أما في آخر أمرهم فهم أكفر من كفر، وشناعاتهم ما وصل ليها أحد، يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أن العلماء متفقون على رميهم بالزندقة والنفاق، وقد أفتى العلماء من جميع المذاهب بكفرهم، وحثوا على جهادهم وقتالهم، وعلى أن دارهم دار حرب.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَيُقَالُ - أَيْضًا -: بَنُو عُبَيْدٍ القَدَّاحِ الَّذِينَ مَلَكُوا المَغْرِبَ وَمِصْرَ فِي زَمَنِ بَنِي العَبَّاسِ.

الشَّرح:

والحجاز أيضًا، وكان هذا في بداية القرن الرابع، واستمر ما يقرب من ثلاثة قرون، ثلاثة قرون إلا قليلًا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

كُلُّهُمْ يَشْهَدُونَ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَيَدَّعُونَ الإِسْلَامَ.

الشَّرح:

ولو ظاهرًا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَيُصَلُّونَ الجُمُعَةَ وَالجَمَاعَةَ.

الشَّرح:

أي في أول أمرهم، وكانت تقام الجمعة والجماعة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَلَمَّا أَظْهَرُوا مُخَالَفَةَ الشَّرِيعَةِ فِي أَشْيَاءَ - دُونَ مَا نَحْنُ فِيهِ -.

الشَّرح:

أي: في أول أمرهم، وكما قلت لكم: أظهروا جواز الجمع بين الأختين في النكاح، وعملوا بهذا، وحللوا كثيرًا من المحرمات.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَجْمَعَ العُلَمَاءُ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَقِتَالِهِمْ.

الشَّرح:

من كل المذاهب أفتوا بكفرهم، وحرضوا على قتالهم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَنَّ بِلَادَهُمْ بِلَادُ حَرْبٍ، وَغَزَاهُمُ المُسْلِمُونَ حَتَّىٰ اسْتَنْقَذُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنْ بُلْدَانِ المُسْلِمِينَ.

الشَّرح:

وسقطت دولتهم الفاسدة، فالمقصود هنا: إجماع العلماء على تكفير من تلبس بمكفر وإن أتى بالشهادتين.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَيُقَالُ - أَيْضًا -: إِذَا كَانَ الأَوَّلُونَ لَمْ يَكْفُرُوا إِلَّا أَنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ الشِّرْكِ، وَتَكْذِيبِ الرَّسُولِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالقُرْآنِ، وَإِنْكَارِ البَعْثِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

فَمَا مَعْنَىٰ البَابِ الَّذِي ذَكَرَ العُلَمَاءُ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ: بَابُ حُكْمِ المُرْتَدِّ - وَهُوَ المُسْلِمُ الَّذِي يَكْفُرُ بَعْدَ إِسْلَامِهِ -؟ ثُمَّ ذَكَرُوا أَنْوَاعًا كَثِيرَةً، كُلُّ نَوْعٍ مِنْهَا يُكَفِّرُ، وَيُحِلُّ دَمَ الرَّجُلِ وَمَالَهُ، حَتَّىٰ إِنَّهُمْ ذَكَرُوا أَشْيَاءَ يَسِيرَةً - عِنْدَ مَنْ فَعَلَهَا -؛ مِثْلَ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا بِلِسَانِهِ دُونَ قَلْبِهِ، أَوْ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا عَلَىٰ وَجْهِ المَزْحِ وَاللَّعِبِ.

الشَّرح:

هذا الوجه الثاني من إجماع العلماء على من أتى بمكفر يكفر من جهة فعله ومن جهة ذاته إذا اجتمعت الشروط وانتفت الموانع، مع كونه قد أتى بالشهادتين، يعني إجماع العلماء على أن النطق بالشهادتين ليس مانعًا من التكفير عند وجود سببه، هذا هو الوجه الثاني، ما هو هذا الوجه؟ أن الفقهاء مجمعون على ذكر كتاب أو باب في المرتدين، يذكرون فيه أمورًا يرتد بها من نطق بالشهادتين ويخرج عن الإسلام، يختلفون في عدها كثرة وقلة، وأكثر الفقهاء ذكرًا وتعدادًا لهذه الأمور هم الفقهاء الحنفية الأحناف الفقهاء الحنفيون هم أكثر الناس ذكرًا حتى أنهم ذكروا أشياء يراه الناس كثيرًا.

بعض فقهاء الحنفية قالوا: من صغر المسجد فقال: مسيجد على سبيل التصغير له والتحقير يكفر، ويرتد، مع أنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، لكن قال: هذا مسيجد، ليس من باب الوصف، يعني لو كان صغيرًا لا يتكلمون عنه، وإنما من باب التحقير والتقليل منه، قالوا: إنه يكفر.

وكذلك من ذكر آية على سبيل المزاح يكفر، فإذا ذكر آية، يعني يذكر هذا فقهاء الأحناف، وذكره غيرهم أن من قال آية ذكر آية في مقام المزاح أنه يكفر بذلك، مع كونهم يأتون بالشهادتين، المقصود أن الفقهاء مجمعون على أن هناك أمورًا من قال واحدًا منها أو فعل واحدًا منها يرتد عن دينه، ويحكم بكفره، مع كونه قد أتى بالشهادتين، فدل ذلك على أنه لا يلزم من التكفير أن يكون الكفر مغلقًا، لأن

بعض هؤلاء القوم يقولون: لا يكفر الإنسان إلا إذا كذب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنكر البعث، وأشرك بالله مع هذا، هذا الكفر المغلق المطبق، أما ما عدا ذلك فما دام أنه أتى بالشهادتين فلا يكفر مهما فعل ومهما قال.

وهذا باطل، أبطلناه من وجوه كثيرة من أول الكلام عن هذه الشبهة، وهذا الجواب المقصود به إجماع علماء الأمة على أن من أتى بالشهادتين يرتد عن الإسلام إذا أتى بشيء من أسباب الردة، وهذا يبطل زعمهم أن من أتى بالشهادتين يمنع ذلك تكفيره مطلقًا، مهما قال أو فعل.

لعلنا نقف عند هذه النقطة، لأن الشيخ سينتقل إلى رد أيضًا على هذه الشبهة يحتاج إلى شيء من الوقف، فيكون في الأسبوع القادم إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ.

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يهديني وإياكم سواء السبيل، وأن يرينا الحق حقًا ويرزقنا أتباعه، وأن يرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه، وألا يجعله ملتبسًا علينا فنضل، أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ الذي هدانا للتوحيد بفضله أن يثبتنا عليه، وأن يجعلنا دعاة إليه، حكاة له حتىٰ نلقاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ ذلك، أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ، وقد اجتمعتم في بيت عظيم من بيوته في مسجد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واقتطعتم جزءًا من أول يومكم هذا، أسأله سبحانه أن يجعل يومكم سعيدًا، وأن يعينكم فيه علىٰ طاعته، وأن يتقبل منكم، وأن يوسع رزقكم، وأن يقيكم شر الأشرار وكيد الفجار، والله تعالىٰ أعلم، وصلىٰ الله علىٰ نبينا وسلم.

هذا، واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وأَعْلَمُ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.